

الفصل الثالث

جوانب ابن رشيق

١ - ثقافته ومصادرها :

الثقافة عند علماء الاجتماع هي طريقة الحياة في مجتمع من المجتمعات ، وأهم عنصر فيها أنها من صنع المجتمع الذي يعيشها ، وأنها تشمل كل ما هو مشترك بين أفرادها ، فطرق التسلية ، ونظم الحكم ، والعادات الدينية ، ومعايير الأخلاق وطرائق الحياة ، وكل ما يتعرض له جملة الشعب يسمى ثقافة ، وبحسب حظه منها ودرجته فيها يكون وضعه في سلم الحضارة .

أما الثقافة عند علماء الأدب فهي مقدار ما يحصله الفرد من ألوان المعرفة التي تخدم اتجاهه الفكري ، وتأتي للفرد إما من شيوخ يجلس إليهم ويتلقى عنهم ، ويروى لهم بعد أن يناقش أو يسلم بما يقولون ، وإما من شيوخ يأخذ عنهم بطريق غير مباشر ، وإنما بالوساطة ، ونعني بالوساطة في هذا المجال الكتاب أو الراوية إذ لم يكن في القديم غيرها فلا إذاعة ولا صحافة ولا شيء من هذا الذي وصلت إليه حضارتنا المعاصرة . ويضاف إلى هذين المشرعين استعداد الفرد نفسه ، وما يزرقه من قدرة فطرية يستطيع بها أن يعال فيما يتلقى من الخارج أو يفهم فيه فهماً جديداً ، أو يبتكر ما لم يسبق إليه ، أو يتمثل الذي سمع ورأى وقرأ فيحيله شيئاً جديداً ، إلى غير ذلك مما تختلف القُدر في التهدي إليه بحسب ما أعدت له .

وفي ضوء هذه اللمحة ننظر إلى ابن رشيق ، فنرى أن قد كانت وسيلته في ثقافته كل أولئك ، فكان له شيوخ أخذ عنهم ، وامتدت يده إلى أكثر

ما عرفت المكتبة العربية يومئذ فقرأه ، وحفظ منه ، وأبدى فيه رأياً ، فقبل ورد ، وأطرى وذم ، وعدل وتمثل ، حتى كان علمه - كما يقولون - عامين ، علم رواية وعلم دراية .

وإذ كنا بحاجة إلى ما يشهد بأنه رزق استعداداً فطرياً ممتازاً فوق ما تشهد به آثاره التي سنعرض لها بعد ، فإننا نقول إنه كان ذا شاعرية من الطراز الممتاز . وهذا أوان أن نقول في ذلك كله على تفصيل .

٢ - أساتذته :

وأريد بهم أولئك الذين تتلمذ عليهم ، وجالسهم ، وسمع منهم ، وأخذ عنهم مشافهة ومحادثة ومناقشة ، ولا أعنى من قرأ لهم ، فأولئك أكثر من أن يحصوا أو يعلوا . فن شيوخه :

(١) أبو عبد الله التميمي محمد بن جعفر القزاز ، قال عنه الأستاذ أحمد نجاتي : « كان شيخ اللغة في المغرب ، إماماً علامة قيماً لعلوم اللغة العربية ، مهيباً عند الملوك والعلماء ، محبوباً عند العامة ، وله مؤلفات في اللغة والأدب ، توفي بالقيروان سنة ٤١٢ هـ . عن نحو تسعين سنة » . (١)

وقال عنه تلميذه ابن رشيقي « إنه صاحب الجامع في اللغة الذي يقارب تهذيب الأزهري » ، (٢) وله كتاب ضرائر الشعر . (٣)

وهو من أوائل شيوخ ابن رشيقي ، الذين أخذ عنهم اللغة والأدب ، ولم تعد تلمذته عليه بضع سنوات ، ونقل عنه في كثير من أبواب عمدته . (٤)

(ب) أبوا سامة ، ولم أقف من خبره إلا على ما قاله فيه ابن رشيقي ،

(١) هامش رفيات الأعيان ج ٣ ص ١٦٣ .

(٢) معجم الأدباء ج ١٨ ص ١٠٥ .

(٣) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٨٣ أدب .

(٤) العمدة ج ١ ص ١٤٤ ، ١٥٠ .

قال : « كان عالماً باللغة وقد عاصرته » ، ^(١) وهو وإن لم يصرح بالتلمذ عليه فإنه يروى عنه ويسأله فيجيبه .

(ح) أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي ، وترجم له الميخني في إسهاب ^(٢) والذي يعنيني في أمر هذا الشيخ ، أنه كان أحد أساتذة النقد الذين أخذ عنهم ابن رشيقي فيقول في باب حد الشعر « وقال عبد الكريم : الشعر أربعة أصناف فشعر هو خير كله ؛ وذلك ما كان في باب الزهد والمواعظ الحسنة ، والمثل العائد على من تمثل به بالخير وما أشبه ذلك ، وشعر هو ظرف كله ؛ وذلك القول في الأوصاف والنعوت ، والتشبيه وما يفتن فيه من المعاني في الأدب ، وشعر يتكسب به ؛ وذلك أن يحمل إلى كل سوق ما ينطق فيها ، ويخاطب كل إنسان من حيث هو ، ويأتي إليه من جهة فهمه » . ^(٣)

والنهشلي قطعة من كتابه « الممتع » بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤ مجاميع ش .

(د) أبو إسحق الحصرى القيرواني . وذكر ابن رشيقي أنه أدركه وهو صبي ، وهذا القول إن صح يرجح أن الحصرى مات سنة ٤١٣هـ . وذكر ابن رشيقي أنه « أنشد بين يديه شعراً أعجبه » ^(٤) وقال عنه في الأتمودج كما روى صاحب معجم الأدباء : « كان شاعراً نقاداً ، عالماً بتنزيل الكلام ، وتفصيل النظام ، يحب المجانسة والمطابقة ، ويرغب في الاستعارة تشبهاً بأبي تمام في أشعاره ؛ وتتبعاً لآثاره ، وقد كان أخذ في عمل طبقات الشعراء على رتب الأسنان ، وكنت أصغر القوم سنناً فصنعت :

رفقاً أبا إسحق بالعالم حصلت في أضييق من خاتم

(١) العمدة ج ٢ ص ١٨٢ .

(٢) ابن رشيقي ص ٤٠ .

(٣) العمدة ج ١ ص ٩٨ .

(٤) قراضة الذهب ص ٣٧ .

أو كان فضل السبق مندوحة فضّل إبليس على آدم

فبلغه البيتان ، فأمسك عنه . واعتذر منه ، ومات وقد سد عليه باب
الذكرة ولم يصنع شيئاً . (١)

وقد أفاد منه ابن رشيقي ونقل عنه في أكثر من موضع بكتابه العمدة ،
كما في وحدة القصيدة ج ٢ ص ١٦ بزهر الآداب فإنه هو الذى نقله ابن رشيقي
بكتابه العمدة ج ٢ ص ١١٢ إلى غير ذلك . وعنه يقول : « كان شيان الفيروان
يجمعون عنده ، ويأخذون عنه ، ورأس عندهم ، وشرف لديهم . وسارت
تأليفاته . وانهاالت عليه الصلات من الجهات » . (٢)

(هـ) الشيخ أبو عبد الله عبد العزيز بن أبي سهل الحشنى الضرير :
ويقول فيه تلميذه . كان مشهوراً بالنحو واللغة جداً ، مفتقراً إليه فيهما ،
بصيراً بغيرهما ؛ ولم يرقط ضرير أطيب منه نفساً ، ولا أكثر منه حياءً ، مع
دين وعفة » . (٣)

ويمكن أن نقول عنه إنه أخذ منه اللغة والنحو كما أخذ عنه النقد والبصر به ،
فقد نقل رأيه في القطع والطوال من القصائد . (٤)

(و) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم السمين ، ويكثر ابن رشيقي من
الرواية عنه وقد سأله عن المقاطع .

أولئك شيوخ ابن رشيقي ، الذين وقفت على طرف من أخبارهم ، وتأكد
لدى أخذه عنهم ، والذي لا شك فيه أن ثمة غيرهم ، ولكن لا سبيل إلى الحديث
فيهم لقلّة معلوماتي عنهم .

(١) معجم الأدباء ج ٢ ص ٩٥ .

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ١١٣ .

(٣) بساط العقيق ص ٥٧ .

(٤) العمدة ج ١ ص ١٦١ .

٣ - قضية منافسة :

وقيل أن نتحدث عن المصدر الثاني من مصادر ثقافة ابن رشيقي نذكر أنه نفي عن نفسه دعوى أن يكون أخذ عن بعض معاصريه ، وقد أشرنا في الفصل السابق إلى أن هذا البعض الذي عناه في تعريضاته إنما هو ابن شرف القيرواني للذي كان بينهما من المنافسة . لكن نفي ابن رشيقي - بنفسه عن نفسه - لا ينهض حجة على صدقه ، فلنبحث عن مرجحات تؤيد هذه الدعوى .

إن التشابه قائم بين بعض ما جاء لابن رشيقي من قضايا النقد في كتبه ، وبين ما جاء منها لابن شرف في رسالته . « أعلام الكلام » وليس بين أيدينا ما يشير إلى تاريخ تأليف رسالة أعلام الكلام هذه ، حتى نعرف من السابق ومن المسبوق فنعرف من الآخذ ومن المأخوذ منه . غير أن ذلك لا يحول بيننا وبين الاجتهاد .

وبقراءة مقدمة رسالة أعلام الكلام نرى صاحبها يقول : « وعزوتها إلى أبي الريان الصلت بن السكن بن سلامان ؛ وكان شيخاً هماً في اللسان ، وبدراً تمماً في البيان . قد بقى أحقاباً ، ولقى أعقاباً ، ثم ألقته الينا من باديته الأزمت . وأوردته علمينا العزمات ، فاهتحننا من علمه بحراً جارياً ، وقد حنا من فهمه زنداً واريماً ، وأدرنا من بره ظرفاً ، واجتئنا من ثمره طرفاً ، ونحن إذ ذاك والشباب مقتبل ، وغداة الزمان تهبل » (١) وصريح ذلك القول أنه ألف الرسالة في صدر الشباب ، فإذا عرفنا أن مولده كان سنة ٣٩٠هـ . قدرنا أنه كتبها بين سنة ٤١٠هـ و ٤٢٠هـ . لأن هذه الفترة هي التي يمكن أن تعد سن الشباب . وإذ أن العمدة ألف ما بين سنة ٤١٢هـ ، ٤٢٥هـ . فإن الرجلين يكونان قد تعاصرا في تأليف الكتابين .

وعلى هذا يكون ما ادعى على ابن رشيقي من أنه أخذ عن ابن اشرف لآمانع

(١) أعلام الكلام ص ١٣ .

منه ، وأن نفي هو عن نفسه ذلك الأخذ ؛ لا سيما إذا أضفنا أن بين الرسالة لابن شرف وبين العمدة لابن رشيق مشابه كثيرة ، فمن ذلك أن ترى رأيهما في ابن الرومي قريباً من قريب .

يقول فيه ابن شرف : « وأما ابن الرومي فشجرة الاختراع ، وعمرة الابتداع ، وله في المهجاء ما ليس له في الإطراء ، فتح فيه أبواباً ، ووصل منه أسباباً ، وخلع منه أثواباً ، وطوق به رقاباً » . (١)

ويقول عنه ابن رشيق : « وكان ابن الرومي ضنياً بالمعاني ، حريصاً عليها ، يأخذ المعنى الواحد ويولده ، فلا يزال يقلبه ظهراً لبطن ، ويصرفه في كل وجه ، وإلى كل ناحية حتى يميته ، ويعلم ألا مطمع فيه لأحد » . (٢)

ويستفتح ابن شرف رسالته تلك بقوله « الضليل مؤسس الأساس ، وبنياته عليه الناس ، كانوا يقولون أسيلة الخد ، حتى قال امرؤ القيس : أسيلة مجرى الدمع ؛ وكانوا يقولون تامة القامة ، وطويلة القامة ، وأشباه هذا ، وجيداء ، وتامة العنق ، حتى قال امرؤ القيس ، بعيدة مهوى القرط ؛ وكانوا يقولون في الفرس السابق : يلحق الغزال ، ويسبق الظلام أو الظلم ، حتى قال : بمنجرد قيد الأوابد ، ومثل هذا له كثير » . (٣)

ويقول ابن رشيق في مستهل رسالته قراصة الذهب : « وأنا أقتصر من جميع الشعراء فيما أورده على امرئ القيس ، لأنه المقدم لا محالة ، وإن وقع في ذلك بعض الخلاف ، فالمميز الحاذق بطرق البلاغة يجد لكلامه من الفضيلة في نفسه ما لا يجد لغيره من كلام الشعراء ؛ والبحث والتفتيش يزيدانه جلالة ، ويوجبان له على من سواه مزية » . ثم يذكر أن له قيد الأوابد . وأن له في الليل قوله :

(١) أعلام الكلام ص ٢٤ .

(٢) العمدة ج ١ ص ٢٢٧ .

(٣) أعلام الكلام ص ١٦ .

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكل
وقوله :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل^(١)
ويتحدث ابن شرف عن القدماء والمحدثين في رسالته^(٢) ، فترى ابن رشيق
كذلك يتحدث عنهم في كتاب العمدة^(٣) .

غير أن احتمال أخذ أيهما عن صاحبه ، يعكبه علينا أن ابن شرف يعود
في رسالته «أعلام الكلام» فيقول: ولعمرك ما أشكر من نفسى . ولا أننى على
شئ من حسى ، إلا ظفري بالأقل مما حاولته ، على ما أضرمته نيران الغربية
من قلبى ، وثلمته صعقات الفتنة من لبي ، وقطعت أهوال البر والبحر من
خواطرى ، وأضعفت الوحشة والوحدة من غرائزى وبصائرى ؛ وهذا الحديث
يوحى بأن الرسالة كتبت بعد أهوال بر وبحر ، وبعد غربة وفتنة ، وبعد وحشة
ووحدة ، ونحن نعلم أن الفتنة إلا فتنة المعز بن باديس التي كانت سنة ٤٤٥هـ . والتي
دعت إلى فرار المعز من القيروان إلى المهديّة سنة ٤٤٩هـ . والتي كانت سبباً
في خروج ابن رشيق وابن شرف إلى صقلية ، ثم خروج ابن شرف وحده إلى
الأندلس . فإذا كان ذلك ، فإننا نؤيد ابن رشيق فيما ادعاه لنفسه من أنه لم
يأخذ عن غيره ، ومن أنه بالتبع لم يأخذ عن ابن شرف ، لأن رسالة ابن شرف
على ذلك تكون قد كتبت بعد هذه الأحداث ، والعمدة على ما حققت ألف
قبل ذلك بكثير^(٤) ويكون ابن شرف هو الذى أخذ عن صاحبنا ، فلا يعدّ ،
بعداً ، من مصادر ابن رشيق لا فى العمدة ولا فى القراضة .

(١) قراضة الذهب ص ١٥ .

(٢) أعلام الكلام ص ٢٨ .

(٣) العمدة ج ١ ص ٧٣ .

(٤) راجع ذلك فى ابن رشيق ونقد الشعر للمؤلف - ص ٧٥-٨٥ .

٤ - أوهام المترجمين :

ومما تجدر الإشارة إليه أن صاحب « الذخيرة » حين يتحدث عن ابن شرف يذكر فصلاً على أنه من كلامه ويذكر أنه موجود في صدر رسالته : « أعلام الكلام » فيقول : « ومن كلامه في صدر كتابه الموسوم بأعلام الكلام ، فصل يقول فيه قد أطلت . . . » ولكن الرسالة بأيدينا وليس فيها شيء من هذا الذي يذكره ابن بسام : فهل كانت الرسالة أكبر مما هي عليه اليوم ، وضاع منها . . أم أن ابن بسام نسب إليها ما ليس فيها ؟

ثم هو يقول أيضاً : « إن ما في الرسالة مقامات عارض بها البديع » وليس ما في الرسالة بمقامات تشبه أن تكون معارضة لمقامات البديع ، اللهم إلا أن يعد الرسالة كلها مقامة من هذه المقامات التي ذكر ابن بسام أن ابن شرف صنعها وجمعها في كتاب « أبكار الأفكار » إذ يقول عن هذا الكتاب : إنه « يشتمل على مائة نوع من مواظ وأمثال وحكايات قصار وطوال » .^(١)

وأشير أيضاً إلى أن في صلب رسالة « أعلام الكلام » كلاماً يبدو أنه ليس منها . كأن تجد فيها بعد حديث أبي الريان عن أبي تمام العبارة الآتية : « قال ابن بسام أما صفته لأبي تمام فنصفه لم يثن عطفها حمية ، ولا تعلقت بذيلها عصبية ، حتى لو سمعها لا نخذها قبلة ، واعتمدها ملة ، فما لام من أدب وإن أوجع . ولا سب من صدق وإن أقذع : »^(٢) فهل هذه زيادة من الناسخ إذ كيف يكون منها ما يقوله ابن بسام وهو متأخر في الوجود عن صاحب الرسالة : ابن شرف !

وبعد فبالنظر إلى ثقافة شيوخ ابن رشيق ، أوائل الذين تحدثنا عنهم ، نرى أنهم جميعاً أصحاب ثقافة أدبية تتصل أكثر ما تتصل بالنظر في الشعر

(١) الذخيرة : المجلد الأول من القسم الرابع ص ١٤٠ .

(٢) أعلام الكلام ص ٢٣ .

والنثر وما يمت إليهما بسبب ، فلا عجب أن تأثر بهم ابن رشيق فكان إنتاجه كله في وادى الأدب والنقد . وأعنى بهذه الإشارة أن ليس فيهم المؤرخ ولا المحدث ، فليس إذن في إنتاجه ما يتصل بالتاريخ والحديث كما ذهب إليه بعض الذين أرخوه فنسبوا له كتباً في هذين الفنين من فنون المعرفة على ما سنفصله بعد .

٥ - أثر المشرق في ثقافته :

أما عن المصدر الأثر في ثقافة ابن رشيق فإنه أكثر ما كتب في موضوع النقد قبله لا سيما الذى يصدر عن المشرق .

وليس همى هنا أن أحصى كل ما وقعت عليه يده ؛ إذ ليس إلى إحصاء ذلك من سبيل . وإنما أذكر طائفة مما قرأ ، ومن قرأ لهم ، ونقل عنهم ، وصرح به في كتابيه القائمين بأيدينا ، وأعنى بهما العمدة ، وقراضة الذهب .

(١) فهو قد قرأ للقاضى الجرجاني كتابه «الوساطة بين المتنبى وخصومة» وأكثر من الاستشهاد بأرائه ، ونقل كثيراً منها برمته ، راضياً عنها في أحيان كثيرة يستطيع أن يقف عليها من يتصفح العمدة ، رافضاً لها في بعض الأحيان ، أو مفسراً إياها كالذى نراه حين يقول عن البحرى :

« غير أن القاضى الجرجانى فضله ، بجودة الاستهلال ، وهو الابتداء ، على أبى تمام وأبى الطيب ، وفضلهما عليه بالخروج والخاتمة ، وإست أرى لذلك وجهاً إلا كثرة شعره كما قدمت ؛ فإنه لو حاسبهما ابتداءً جيئداً بابتداء جيئد ، لأربنى عليهما وقصراً عن عذره » . (١)

ولا يفوته أن يشهد للقاضى بالخير حين يقول « وقال الجرجانى ، وهو

(١) العمدة ٢ ص ٢٠٤ . والعذر يريد بها ابتكاراته ومفردها عذرة ، وهى فى الأصل علامة تعقد فى ناصية الفرس السابق دفماً للين .

أصح مذهباً ، وأكثر تحقيقاً من كثير ممن نظر في هذا الشأن . يريد السرقات .

(ب) وقرأ لابن وكيع كتابه «المنصف» ، وأبدي فيه رأياً لما قال : « وأما ابن وكيع فقد قدم في صدر كتابه على أبي الطيب مقدمة لا يصح لأحد معها شعر ، إلا المصدر الأول إن سلم لهم ذلك ، وتماه كتاب المنصف ، مثل ما سمي اللديغ سليماً ، وما أبعد الإنصاف منه »^(١) . وهذا الأسلوب يكشف عن قوة شخصية ابن رشيقي ، وأنه يعتد بنفسه وبرأيه ، فيقبل ويرفض غير مقتف أثرًا ، أو ماش في سبيل غيره إلا أن يكون عن اقتناع .

(جـ) وقرأ للآمدى كتابه « الموازنة بين الطائيتين » قراءة الدارس الذي يتمثل ما يقرأ ، فقرأه يقول : « وكان أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى يفضل ابتداءات البحترى جدًّا ، وهو الذي وضع كتاب « الموازنة والترجيح بين الطائيتين ، ونوه بالبحترى أعظم تنويه » .^(٢)

(د) كما قرأ للحاتمي رسالته وأكثر من النقل عنها ، لا سيما في باب السرقات .
(هـ) وكذلك قرأ للرماني أبي الحسن ، ونقل عنه في كثير من المواطن .^(٣)
وأكثر ما يكون ذلك حينما يتعرض للحديث عن البلاغة وفصولها .

(و) وأكثر من الرواية عن الجاحظ — وله في نفسه المنزلة الكبرى ، وكتبه الأثر الواضح في تأليفه وإنتاجه ، حتى لرجحت أن يكون ابن رشيقي ، قد نهج منهجه ، وجرى في أثره ، ولكنه كان فاضلاً حين اعترف ، ويعترف له كثيراً بفضل السبق ، مع التقدم في الزمن فيقول : « وقد استفرخ الجاحظ ، وهو علامة وقته ، الجهد : فوضع كتاباً لا يبلغ جودة وفضلا ، ثم ما ادعى

(١) العدة ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٢) العدة ج ٢ ص ٢٦٦ .

(٣) العدة ج ٢ ص ٢٥٥ .

إحاطة بهذا الفن لكثرة^(١) والكتاب الذى يشير إليه إنما هو البيان والتبيين ، وأما الفن فالبيان .

وينقل عنه فى باب النظم أن « أجود الشعر ما رأيتُه متلاحم الأجزاء ، سهل الخارج »^(٢) وكأنا ارتضى هذا الرأى فقال : « وإذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذى ذكره الجاحظ لذمائه ، ونحف محتمله » .^(٣)

(ز) ورأى ابن رشيقي كتاب الجمهرة ، وقرأه ، ونقل منه حين تحدث عن المعلقات فقال : « وقال محمد بن أبى الخطاب فى كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب : إن أبا عبيدة قال : أصحاب السبع التى تسمى السمط ، امرؤ القيس وزهير . . . »^(٤)

(ح) أما عن ابن سلام الحمجى فما أوضح أثره فيما كتب ابن رشيقي ، يصرح بذلك فى أكثر ما يأخذ عنه كأن يقول « إن للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم »^(٥) .

(ط) وكذلك أخذ عن ابن قتيبة ، وكان هذا فيما كتب مصدراً لصاحبنا فى كثير من معارفه التى كتب عنها ، فقد قرأ له كتاب « الشعر والشعراء » ونقل منه وسرى أثر ذلك واضحاً كلما قرأنا موضوعات النقد عن ابن رشيقي^(٦) وقرأ له كتاب « المعارف » وصرح بذلك حينما تحدث عن غزوات الرسول فقال : « وكل هذا مختصر من كتاب ابن قتيبة ، وإياه قلدت فيما رأيت من هذه الطريقة » .^(٧)

-
- (١) العبد ج ١ ص ٢٢٧ .
 (٢) المصدر السابق ص ٢٢٨ .
 (٣) المصدر السابق ص ٢٢٨ .
 (٤) المصدر السابق ص ٧٨ .
 (٥) المصدر السابق ص ٩٨ .
 (٦) المصدر السابق ص ١٩٠ .
 (٧) المصدر السابق ص ١٢٩ .

(ك) وكالشعر والشعراء لابن قتيبة في حياة ابن رشيقي العلمية ، كتاب نقد الشعر اقدمه بن جعفر ، فقد نقل عنه فصولاً كاملة أو تكاد تكون كاملة ، ويعقب عليها أحياناً بالشرح والتوضيح ، كما يبدى فيها رأيه ، برضا أو برفض كأن يقول بعد أن ينقل قطعة منه ! « إلا أن قدامة أبي منه وأنكره جماعة ، وليس ذلك صواباً » . (١)

وكما أوضحت في كتابي « ابن رشيقي ونقد الشعر » يمكن القول إنه اتخذ من قدامة إماماً في كثير مما عرض له مما يتعلق بالشعر في كتابه العمدة « لا سيما في باب الأغراض .

كما لم يفته أن يقرأ كتاب « البديع » لابن المعتز ، وتأثره به جد واضح فيما كتب من أبواب البلاغة .

وبلغت نظر الباحث أنه لم يرو عن الأندلسيين . اللهم إلا أن يكون عن صاحب العقد الفريد ، على قلة وندره ، وتعليل ذلك فيما أرى ، أن أهل المغرب كانوا يتخذون من أهل المشرق وعلمائه لأنفسهم إماماً .

وثمة كتاب إعجاز القرآن للباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ . فإنه يتفق مع ابن رشيقي حين اشترط النية والقصد في الكلام ليعد من قبيل الشعر ، ولكن ابن رشيقي لا يذكره ولا يشير إليه ، فهل قرأه وأخذ منه ورفض أن يصرح بأسمه ؟ وذلك ما لم نألف من الرجل في أمانته ، ولا يمكن أن يكون من توارد الخواطر اتفاقهما هذا .

وعندي أن كليهما أخذ عن الجاحظ فهو قباهما ، وهو الذي عرض لهذا الشرط في الكلام ليكون سعراً في الاصطلاح .

وكما لم يذكر ابن رشيقي كتاب الباقلاني ، فإنه لم يذكر كتاب « الصناعتين » لأبي هلال العسكري ، ولعله لم يصل إلى يده .

٦ - قدرته على تمثل المعرفة :

وإذا اعتبرنا استعداد ابن رشيقي ، الفطري ، مصدراً من مصادر ثقافته على ما في ذلك من تجوز كبير ، فإننا نذكر أن قد كان لهذا الاستعداد أثر واضح في إنتاجه ، فلم يكن متلقياً عن شيوخه وحسب . ولم يكن مجرد قارئ لما كتب غيره قبله . ولم يكن مجرد وساطة في نقل آثار المتقدمين ، وإنما كان فوق ذلك بكثير ، كان بوتقة تهر ما يأتي فيها ، ثم تخرجه للناس شيئاً جديداً كل الجدة ، كان يسلط على ذلك كاه من عقله وذهنه فيحييه خلقاً آخر ، برأيه وثقوبه ، يرضى عما يتلقى أحياناً، ويرفض أحياناً، ويناقش ويعارض أحياناً نائلة ، فيذهب غير المذهب ، ويرى غير الرأي ، مما يؤكد أن كانت له شخصيته الواضحة فيما خلف من آثاره . وليس كما زعم عليه الدكتور مندور حين قال : « وتلا عبد القاهر مؤلفون ، بل وعاصره مؤلفون كأبي علي الحسن ابن رشيقي القيرواني المتوفى سنة ٥٤٦٣ هـ أو سنة ٥٤٥٦ هـ . صاحب العمدة الذي جمع في كتابه الكثير من أخبار الأدب العربي والنقد العربي وعلوم اللغة ، دون أن يتضح للمؤلف منهج خاص وشخصية متميزة » .^(١)

٧ - شاعريته :

يعتبر ابن رشيقي بين شعراء عصره من المبرزين . وقد تقدم أنه هو وابن شرف ، كانا شاعري قصر المعز لكن ابن بسام يقدم صاحبنا على ابن شرف « ويرفعه درجات » وابن رشيقي نفسه يربأ عن أن يكون صغر سنه مما يؤخره عن شعراء القيروان في نظر الحصري حين هم هذا بوضع كتاب في طبقات الشعراء ، يكون أساسه السن ، وقد تقدم خبر ذلك كله . وسيرد عليك مما نختار له ما يؤكد صدق دعوانا في شاعرية الرجل .

(١) النقد المنهجي عند العرب ص ٢٨٨ .

على أن ابن رشيقي لا يزهى بشعره فوق درجته ، وإنما يضع نفسه موضعها ، فلا يتناول على أمثال المتنبي أو البحتري أو أبي تمام ؛ قال ابن بسام : « ... وحدثت أن أبا علي بن رشيقي ناجى نفسه بمعارضة أبي الطيب في بعض أشعاره وراطن شيطانه بالدخول في مضماره ، فأطال الفكرة ، وأعمل النظرة . فأداه جهده وذهب به نقده إلى معارضة قوله :

أهن ازديارك في الدجى الرقباء ^(١)

فيث عيونه ، واستمد ملائكته وشياطينه . . . ثم صنع قصيدة فيما بلغنى ، رأى أنها مادة طبعه ، ومنتهى طاقة وسعه ، ثم حكّم نقده ، ورضى بما عنده ، فرأى أن قصرت يده ، وقصر مداه ، وعلم أن الإحسان كنز لا يوجد بالطلب ، وميدان لا يستولى عليه التعصب ، وصان نفسه عن أن يتحدث عنه ، بأن تكون المرة أحزم منه ^(٢) ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه .

٨- آثار ابن رشيقي :

يعثر المتصفح لكتب الطبقات والتراجم ، على أسماء كثيرة لمؤلفات نسبت كلها إلى ابن رشيقي . وسنتحدث هنا عما وقفنا عليه من ذلك ونناقشه ، ثم نحاول ترتيب ما يتأكد لنا أنه له ، ترتيباً تاريخياً ما أعانت على هذا وسائلنا ، ونخص كتبه الباقية إلى يومنا كلاً بكلمة . ولعل في ذلك بعض القيام بحق الرجل . فما وردت أسماءه على أنه كتب له ، وبقي منها وضاع ما يأتي :

- ١ - العمدة في صناعة الشعر ونقده .
- ٢ - قرأضة الذهب في نقد أشعار العرب .
- ٣ - أعمودج الزمان في شعراء القيروان .
- ٤ - الشذوذ في اللغة . (يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها) .

(١) هذا شطر مطلع قصيدة للمتنبي ، وشطره الثاني : إذ حيث أنت من الضياء ضياء .

(٢) الذخيرة - القسم الرابع - المجلد الأول ص ١٥ .

٥ - الرسائل الفاتقة والنظم الجيد .
وهذه ذكرها له ابن خلكان حين ترجمه^(١) ، كما أثبت له في ترجمة ابن شرف :

- ٦ - ساحور الكلب .
٧ - نجح الطلب .
٨ - رفع الإشكال ودفح المحال .
٩ - قطع الأنفاس .
١٠ - نسخ الملح ومسح الملح .

وقد ذكر هذا الكتاب بإقوت وروى له منه قوله :

المرء في فسحة كما علموا حتى يرى شعره وتأليفه
فواحد منهما صفت له عنه وجازت زخاريفه
وآخر نحن منه في غرر إن لم يوافق رضاك تثقيفه
وقد بعثنا كيسين ملوهما نقد امرئ حاذق وتزييفه
فانظر - وما زلت أهل معرفة يامن لنا علمه ومعروفه^(٢)

ويشبه أن يكون ابن رشيقي اتجه بشعره هذا إلى سيده أبي علي ابن أبي الرجال . فمثل هذا الأسلوب ، والاتجاه به إليه كثير في آثار الرجل ، وإذا صح هذا يكون ذلك الكتاب أو تلك الرسالة قد كتبت قبل سنة ٤٢٥ هـ . التي فيها توفي أبو علي . وربما رجح ذلك الذي تقدم ما جاء في نفس الكتاب من قوله :

ولا ملت عنكم بالوداد ولا انطوت حبال ، ولا ولى ثنائى مودعاً
إلى أن يقول :

فباينت لا أن العداوة باينت وقاطعت لا أن الوفاء تقطعا

(١) وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٦٢ - ١٧٠ .

(٢) معجم الأدباء ج ٨ ص ١١٧ .

إذ تميل النفس إلى اعتبار ذلك الشعر مما قاله الرجل يعتذر به من غيبته عن ديوان سيده . تلك الغيبة التي أشرنا إليها حين تحدثنا عن حياته .

١١ - سر السرور ، وذكره له ياقوت في معجمه ، ونقل منه قوله :

معتقة يعلو الحجاب متونها فتحسبه فيها نثير جمان
رأت من لجين راحة لمديرها فطافت له من عسجد بينان

وزاد صاحب كشف الظنون على هذه الكتب :

١٢ - شرح موطأ مالك .

١٣ - تاريخ قيروان .

وأضاف له صاحب بساط العتيق : (١)

١٤ - الروضة الموسوية في شعراء المهديّة .

١٥ - ميزان العمل في تاريخ الدول .

وذكر له عبد العزيز الميمنى .

١٦ - جزءا من ديوانه .

وقال عنه : موجود بمكتبة أسكوريال ضمن مجموعة : (٢)

وأثبت له الأستاذ نجاتي : (٣)

١٧ - طراز الأدب .

١٨ - المباح والمذام .

١٩ - متفق التصحيف .

٢٠ - تحرير الموازنة .

٢١ - الاتصال .

٢٢ - المن والقدما .

(١) بساط العتيق ص ٨٩ .

(٢) ابن رثيق ص ٨٣ .

(٣) حاشية وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٦٧ .

- ٢٣ - غرائب الأوصاف ، وإطائف التشبيهات لما انفرد به المحدثون .
 ٢٤ - كتاب الرياحين .
 ٢٥ - صدق المدائح .
 ٢٦ - الأسماء المعربة .
 ٢٧ - إثبات المنازعة .
 ٢٨ - معالم التاريخ .
 ٢٩ - التوسع في مضايق القول .
 ٣٠ - بلغة الأشفاق في ذكر أيام العشاق .
 ٣١ - الحيلة والاحتراس .
 ٣٢ - المساوي في كشف السرقات الشعرية .

وعلق الأستاذ نجاتي على ذلك الثبت بقواه : ويحيل لي أن بعض هذه الأسماء تراجم لأبواب من مشهور كتبه .

ولولا أن الأستاذ جعل الشك في بعض هذه الأسماء لخالفته لأن طائفة منها ثبت وجودها على أنها كتب مستقلة . نقل ذلك أصحاب التراجم ، كسر السور ، وفسح الملح ، والأنموذج ، وبعضها تحدث عنه ابن رشيق نفسه فقد ذكر في كتابه قراضة الذهب أن له رسالة « المساوي » وهكذا .

وأيا ما كان الرأي في هذه الأسماء ، فأكثرها مفقود ، وليس بأيدينا منها اليوم إلا العمدة ، وقراضة الذهب ، والجزء من ديوانه بمكتبة الأسكوريال وسنخصص العمدة والقراضة بكلمة فيما بعد .

٩ - شبهة وردها :

بقي أن الدكتور حسين مؤنس يذكر في كتابه « فتح العرب للمغرب » أن ابن رشيق من ثقاة أهل البلاد .. ومن تناولوا الكتابة في تاريخ المغرب^(١) . ولست أدري على أي سند اعتمد الدكتور في إصدار هذا الحكم ، اللهم إلا أن

(١) فتح العرب للمغرب ص ٣٠٩ .

يكون اعتمد على سعادة حسن حسنى باشا وزير تونس ، حيث قال « أما الفن الذى أفاض فيه ابن رشيق عرفانه ، وأطلق للقلم عنانه فهو التاريخ وفروعه ، فإنه وضع فيه "ميزان العدل فى تاريخ الدول" أتى فى ضمنه على الدول العربية قبل الإسلام وبعده إلى زمانه : ثم قال : « وهو مفقود الآن » ؟ ^(١) وهذا كله يتعرض لمثل ما أتى من الاعتراضات :

١ - إن حسن حسنى باشا لم يذكر لنا المرجع الذى ذكر هذا الكتاب حتى نناقشه .

٢ - إن الكتب التى ترجمت لابن رشيق كالمعجم ، والوفيات ، والبغية ، وشذرات الذهب ، إلى غير ذلك مما وقفنا عليه لم تذكر له ذلك الكتاب ، اللهم إلا كشف الظنون فقد ذكره ، ولكنه لم يذكر أنه أتى فيه على « الدول العربية قبل الإسلام وبعده إلى زمانه » وإنما قال : مبران العمل فى التاريخ لحسن بن رشيق المتوفى سنة ٥٦٤هـ. اقتصر فيه على عدد الأيام من دول الملوكة . ^(٢)

٣ - إن ابن رشيق نفسه يذكر فى قراضة الذهب أن غارة للجراد وقعت بالمغرب وأن تحطاً نزل بالقيروان. ثم يقول « ولا أشك أن أصحاب التاريخ أثبتوا القصة والسنة التى كانت فيها » ^(٣) ومفهوم هذه العبارة أنه هو ليس من أصحاب التاريخ ولا من كتابه .

٤ - إن المترجمين القدماء اعتادوا أن يصدروا ترجماتهم بفدلكات تم عما اشتهر به المترجم ، كأن يقولوا : العالم المؤرخ ، أو الشاعر الأديب ، أو الكاتب المترسل ، أو الرحالة الأديب الكاتب ذو الوزارتين . . . إلى غير ذلك مما يعطى فكرة عن أهم ما اشتهر به الرجل. ولا نجد فى جانب ابن رشيق شيئاً

(١) بساط العقيق ص ٨٩ .

(٢) كشف الظنون ج ٢ ص ٣٧٥ .

(٣) قراضة الذهب ص ٥٠ .

ينم عن أنه كان مؤرخاً . هذا فضلاً عن أن الحكم « بالثقة فى التاريخ » لا يكون إلا بعد قراءة المادة التى كتبها المؤرخ ، وبعد عرضها على مقاييس الصحة والتوثيق فأين ما استنتج منه الدكتور بعض ذلك ؟ وحسن حسنى باشا يقرر أن الكتاب الذى نسبه إليه فى هذا الفن مفقود !

٥ - يضاف إلى ذلك كله أن ابن رشيق قال فى باب « ذكر الوقائع والأيام » بكتابه العمدة : « قد أثبت فى هذا الباب ما تأتى إلى من أيام العرب ووقائعهم ، ولم أشرط استقصاءها ، إذ كان فى أقل مما جئت به مقنع ، ولأن أبا عميدة ونظراءه قد فرغوا مما ذكرت » .^(١)

ويقول فى باب « معرفة ملوك العرب » « وأنا أذكر فى هذا الباب من ملوك النواحي من أخذه حفظى وبلغته روايتى ، على شريطة الاقتصاد والتلخيص » .^(٢) فترى معى أن الرجل لم يشر إلى أن له كتاب تاريخ ، ولا إلى أنه سيكتب فى التاريخ كتاباً « يقيس فيه عرفانه ، ويطلق فيه القلم عنانه » وإنما الذى له « معلومات أخذها حفظه وبلغتها روايته » ، « على شريطة الاقتصاد والتلخيص » . وعلى هذا فالرواية قائمة على أوهام المتقدمين الذين ظنوا بعض فصوله فى كتبه ، كتباً مستقلة ، وتبعهم فى ذلك علماء من المحدثين .

وكإثباتهم له كتاب تاريخ ، لإثباتهم له كتاب « شرح الموطأ » وليس فى حياة ابن رشيق ما يشتم منه أنه كتب فى الحديث ، لا شرحاً ولا متناً . وقد أتيح لى فى فبراير سنة ١٩٥٥ ، فى أثناء انعقاد دورة المجمع اللغوى بالقاهرة أن أقابل سعادة حسن حسنى باشا ، فعرضت عليه رأيت فيما جاء بكتابه « بساط العقيق » بهذا الصدد ، فصوب ما ذهب إليه ، وذكر لى أنه ينوى تصحيح ذلك فى طبعات الكتاب الجديدة ، وهذا خلق العلماء ، إذ لا يعينهم إلا الحق حينما بان .

(١) العمدة ج ٢ ص ١٨٩ .

(٢) العمدة ج ٢ ص ٢١٤ .

١٠ - ترتيب ما أمكن ترتيبه من آثار ابن رشيقي :

لم تصل يدي على الرغم من كثرة التنقيب ، في المظان التي توقعت أن يكون فيها ذكر لكتب الرجل إلى غير كتابي العمدة ، وقراضة الذهب ، وبعض ما جاء له من شعر متناثر في كتب الطبقات . وهذه كلمة عن كل من الكتابين .

١١ - كتاب العمدة :

ويبدو أنه أول ما كتب ابن رشيقي ، إذ يذكر فيه مقدمه على المعز بن باديس ، وإنشاده بين يديه ، وأنه ألفه للسيد الأحمدي . . . آبي المظالم . . رجل الخطب وفارس الكتب أبي الحسن علي بن أبي الرجال الكاتب^(١) فإن وقع منه بموقع ، وحل من قبوله بموضع . . بلغ الإيرادات ، ورجا الزيادات :

وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه وأول الغيث قطر ثم ينسكب^(٢) وهكذا يبدو أن أول الغيث كان كتاب العمدة . ثم تلتها القطرات الكثيرة .

١٢ - رفع الكتب إلى الحكام :

وابن رشيقي في رفعه الكتاب إلى رئيس الديوان ، إنما يجري على سنة العصر ، من تقديم الكتب إلى رجال السياسة والحكم ، فالجاحظ في الشرق ، والقالبي في الغرب ، وغيرهم يرفعون كتبهم إلى الحكام ، حتى يضمّنوا لها الرواج ، ويضمّنوا لأنفسهم الرزق والعطاء . والحظوة والقربى عند من في أيديهم أمور الملك وأسباب الحياة .

وإذ رفع الرجل الكتاب إلى أبي الحسن ، ودعا له في آخره حين قال : وهذه أبيات كنت صنعتها للسيد أبي الحسن أدام الله عزه ، ختمت بها الكتاب لما جاء موضعها :

(١) العمدة ج ١ ص ٣ .

(٢) العمدة ج ١ ص ٦ .

إن الذي صاغت يدي وفمي
 مما عنيتُ لِسَبِّكَ خالصة
 لم أهدُه إِلَّا لَتَكْسُوهِ
 لسنا نزيدك فضل معرفة
 فاقبل هدية من أشدت به
 لا نحسب الدنيا أبا حسن
 وتبرى لساني فيه أو قلبي
 واخترته من جوهر الكلم
 ذكراً تجددده على القدم
 لكنهنّ مصايدُ الكرم
 ونسخت عنه آية العلم
 تأتي بمثلك فائق المم

إذ كان ذلك - وأبو الحسن مات سنة ٤٢٥هـ . فيمكننا أن نقول بأن الكتاب ألف قبل هذه السنة (١) .

أما بداية التأليف فنحن نعلم أنه وفد على القيروان سنة ٤٠٦هـ . وأنه دخل على المعز بأول مدحة سنة ٤١٠هـ . ويغلب أن يكون دخوله على المعز من طريق أبي الحسن رئيس الديوان ، فيكون الكتاب أُلّف بعد هذا التاريخ .

وبوسعنا أن نحدد تحديداً أقرب فنقول : إن ابن رشيقي يذكر عند حديثه عن موت دعبل الخزاعي بزوية بني الخطاب إن « هنالك قبره ، وإلى جانبه قبر عبد الله بن شيخه أبي عبد الله محمد بن جعفر النحوي - رحمه الله - » (٢) فإذا جعلنا دعاءه بالرحمة إنما هو لشيخه - على أساس عود الضمير لأقرب مذكور - دون أن يكون لابن شيخه ، صح أن نقول إن الكتاب ألف بعد سنة ٤١٢هـ . لأنها السنة التي مات فيها الشيخ أبو عبد الله محمد بن جعفر .

وقد ذهب الميمني إلى أن « العمدة » ألف بعد سنة ٤٤٩هـ . وهذا أغرب ما رأيت إذ فضلاً على ما أسبقت من أدلة ، يستبعد العقل أن يظل ابن رشيقي ستين سنة لا يؤلف فيها شيئاً ، حتى إذا اضطربت الأمور ، ووقعت الفتن وأخذ

(١) ذكر لي حسن حسني باشا يوم لقيته سنة ١٩٥٥ أنه رأى على قبر أبي الرجال لوحة كتب عليها أنه توفي سنة ٤٢٦هـ .

(٢) العمدة ج ١ ص ٥٧ .

الرجل يحاول النجاة بنفسه من شرورها . قال الميمنى — إنه ألف كتاب العمدة ، أكبر كتبه .

١٣ — عناية العلماء بالكتاب :

وقد أعجب العلماء بالكتاب منذ ظهر ، فاختصره أبو عمر عثمان بن علي بن عمر الصقلى ، قال ياقوت فى ترجمته (وله كتاب مختصر العمدة لابن رشيق ، وقال عثمان فى مختصره هذا : « وقد ذكرت السرقات فقال لى — يعنى ابن رشيق — من قصيدة أولها — نقلتها من خطه : وقد أعلم عليه (ع) وهى علامة لنفسه :

دمع رأى برق الحمى فتحلدا وجوى ذكرت له الحمى فتسعرا
لولم يكن هجرٌ لما عذب الذوى أنا اشتهى من هاجرى أن يهجرا
بذنى وبين الحب نسبة عنصر فتمى وصلت ذلك العنصر^(١)

وقد ذكر صاحب كشف الظنون أن عثمان بن علي هذا سمي كتابه «العدة» وارضى الميمنى ذلك ، وكلام ياقوت عندى أولى بالقبول لتفصيله القول على ما تقدم . وقد وقفت أخيراً على هذا المخطوط بمكتبته بالمدينة الإسكندرية تحت رقم ١٢٩٠ ب .

وكذلك اختصره ونبه على أغلاطه الأعلام الشنتمرى المتوفى سنة ٥٤٩ هـ . وسماه « مختصر العمدة والتنبيه على أغلاطه »^(٢) .
كما اختصره موفق الدين البغدادى .

أما عناية المحدثين بالكتاب . فمتضح فى أنك لا ترى مؤلفاً يؤلف كتاباً فى البلاغة أو النقد أو الأدب وتاريخه إلا ويستشهد بما كتب ابن رشيق فى العمدة وقل أن يخلو كتاب من نقل عنه أو أخذ منه أو استشهاد به .

(١) معجم الأدباء ج ١٢ ص ١٣٧ والبيت الثانى شبه بقول الجنون :

إذا كان قرب النار يورث حمداً فلا خير للصب المتيم فى القرب

(٢) نفع الطيب ج ١ ص ٤٣٥ .

١٤ - قراضة الذهب :

واسمه الكامل « قراضة الذهب في نقد أشعار العرب » وألفه بعد العملة بلا شك لأنه يقول في العملة « على أن المحدثين شاركوا القدماء في كل ما ذكرته أيضاً ، كما خالطوهم في صفات النجوم ، وكثير مما لا يتسع له الباب ، ولكنني أفرد له كتاباً قائماً بنفسه أذكر فيه ما انفرد به المحدثون ، وما شاركهم فيه المتقدمون^(١) . » أقول وذلك الكتاب ، هو القراضة لأن هذا موضوعه .

ويقول « وأنا أقول إن أكثر الشعراء اختراعاً ابن الرومي ، وسبأني برهان ذلك في الكتاب الذي شرطت تأليفه إن شاء الله »^(٢) ويحقق هذا الذي أشار إليه في القراضة^(٣) .

وفي القراضة يقول « وفي كتاب العملة من ذلك جملة صالحة^(٤) » وهذا صريح كله في تقديم العملة عليها .

ويقول « والحذق في الأخذ على ضروب أنا ذاكر منها ما أمكن وتيسر ؛ إذ ليست هذه الرسالة موضع استقصاء ، لا سيما وقد فرغت في كتاب العملة مما يراد أو أكثر »^(٥)

وإذ رجحت قبلاً أن العملة كتب قبل سنة ٥٤٢٥ هـ فإنني أقطع هنا بأن القراضة كتبت بعد سنة ٥٤٢٧ هـ . بستين عدة - قال ابن رشيقي ، وكنت أنا قد صنعت منذ سنين عدة - وقد خرجنا للاستسقاء . فرجعنا وقد انتشر الجراد حتى كاد يحول بيننا وبين الشمس ، وشق ذلك على الذي خرج للاستسقاء ، وكان شيخاً صالحاً مات سنة سبع وعشرين بعد القصة بمدة طويلة ، خرجنا

(١) العملة ج ٢ ص ٢٢٩ .

(٢) العملة ج ٢ ص ٢٣٢ .

(٣) القراضة ص ٣٧ .

(٤) القراضة ص ٢٠ .

(٥) القراضة ص ٢٩ .

بينة الغيث نستسقى وقد أوحشت وجوه البلاد - صنعت :
 بينما نرتجى سحابة موزن غشيتنا سحابة من جراد
 ليس من قلة ولا بخل رب إنما ذاك من ذنوب العباد^(١)

١٥ - الأتمودج :

وبعض كتب التراجم تسميه النموذج ، وبعض المترجمين يزعم أن لابن رشيق كتابين بالأسمين وهذا من أوهام المتقدمين .
 ومع أن الكتاب لا وجود له ، ولم يقع لأحد من المعاصرين ، فإن منه نقولاً كثيرة تدل على أنه كان موجوداً إلى بداية القرن السادس الهجري . فابن ظافر المتوفى سنة ٦٢٣ هـ . ينقل منه في مواضع كثيرة بكتابه بدائع البدائه ،^(٢) وكذلك ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار .
 والكتاب ألف بعد العمدة أيضاً لأن ابن رشيق يقول « والشعراء في قبولها مال الملوك أعذر من المتورعين ، وأصحاب الفتيا ، لما جرت به العادة قبل الإسلام . . . وهذا باب قد احتذاه الكتاب في زماننا إلا القليل ، وقوم من شعراء وقتنا أنا ذاكرهم في كتاب غير هذا إن شاء الله » .^(٣) فالأرجح أن يكون هذا الكتاب هو أتمودج الزمان في شعراء القيروان .

١٦ - رسالة كشف المساوى :

ويبدو أن موضوعها نقد بعض معاصريه كما يدل عليه الاسم ، وبقيناً كتبت قبل قراضة الذهب ، لأن ابن رشيق يقول في القراضة : « وما لا يعد سرقة أن تتفق قصة تقتضى صفة بعينها ، كالذى وقع لنا في رثاء السيدة الجليلة ،

(١) قراضة الذهب ص ٥٠ .

(٢) معجم الأدباء ج ١ ص ٦٥ .

(٣) العملة ج ١ ص ٦٧ .

من ذكر حلق الشعور ، ولبس المسوح ، وفي رثاء ابن زمام الدولة من موافقة الكسوف ، وقد بينت ذلك في رسالة كشف المساوي^(١) .
وقد حاولت معرفة السنة التي ماتت فيها السيدة الجليلة ، أو التي مات فيها ابن زمام الدولة ، أو التي وقع الكسوف فيها لأحدد سنة كتابة الرسالة ، ولكن لم تسعفني المصادر .

١٧ - القطعة من ديوان ابن رشيق :

وهذه موجودة بمكتبة أسكوربال ، ذكر ذلك أصحاب دائرة المعارف^(٢) ، الإسلامية كما ذكره الميمنى^(٣) ، ولما كانت بعض شعره فليس في الإمكان تحديد زمان إنشائها ، فالشعر يصدر عن الشعراء ، ويسير معهم في حياتهم من أولها إلى آخرها .
وهذا أوان أن نقدم بين يدي القارئ نماذج من إنتاج ابن رشيق شعراً ونثراً .

(١) قراصة الذهب ص ٤٩ .

(٢) مجلد (١) عدد ٣ ص ١٨٠ تحت مادة « ابن رشيق » .

(٣) ابن رشيق للميمنى ص ٨٣ .